

بين الصدفين

رواية



SHEWOLVERIN

الحمد لله أولاً و أخيراً على التوفيق للوصول لفكرة هذه
القصة

أعزائي القراء .٨٨.

هناك بعض الإرشادات الصغيرة التي أتمنى منكم الإلتفات لها قبل البدء بقراءة هذا الكتاب .

-هذا العمل خالٍ تماماً من أي لفظ خادش للحياء و إن صودف تواجد شيء فأعتذر مُقدماً

-أتمنى منكم قراءة سورة "الكهف" من القرآن الكريم صفحة رقم 293 بعد الإنتهاء من قراءة القصة

-يوجد على الغلاف الخارجي رمز استجابة سريع للتحويل لصفحة الكاتب أتمنى أن تُعلموني بآرائكم حول القصة

-أخيراً و ليس آخرأ قراءه ممتعه للجميع أسعدني مروركم

shewolverin.٨٨.

في مكان لا تعرف له اسمًا ..

و زمان تُنسى فيه الساعات ..

كانت هناك فجوة جليدية يبتلعها ظلام ...

و من بين الصمت القارس

"ومضة هاتف مذبوحة بالبرد"

ارتتحف لها قلب "أمين" كمن تشتّت بظل حياده.

من بين الظلام الدامس ، ومضة هاتف ...

تشتّت بها أimin مُناديًا للنجاة ، للمساعدة ... أو حتى

لشئ من الشفقة ..

يداه بالكاد تتحركان من شدة البرودة دم متاخر يسيل

من ضلعه الأيمن المُهشّم ، بينما قدماه لا يشعر إن كاتتا

لا تزالان على قيد الحياة أم لا ..

قال بين أنفاسه المتقطعة ، بصوت بالكاد يُسمع :

-“لن اسمح لنفسي بالموت الآن .. بعد أن

وصلت !!”

من ثنایا الظلام ، جاء صوت “نعیق غرائب” يُحلق فوق

تلك الفجوة .

صوتٍ ما ناداه من بعيد، و كأنه يقول:

”لربما أكون طوق النجاة الوحد أمامك“.

نظر للأعلى ، ثم أخذ من الثلج حوله كراتٍ صغيرةٍ و

راح يقذفها نحو الغراب، صارخاً من عمق ألمه :

-“فلتسقط.. لعنك الله أيها الغراب ! ”

مرةً تلو الأخرى حاول إصابته ، مستخدماً ما تبقى له

من قوة في أنفاسه المتقطعة .

و فجأة ..

رفف الغراب على بُعد خطوات ..

قفز أَيْنَ مِنْ مَكَانِهِ غَيْرِ مُكْتَرِثٍ بِضُلْعِهِ المَكْسُورِ، وَ
بِسَاقِيهِ الَّتِينَ تَحَوَّلَا إِلَى مَا يُشَبِّهُ الْخَرْسَانَةَ مِنْ شَدَّةِ
البرودةِ .

زَحْفٌ إِلَيْهِ، حَتَّىْ أَمْسِكَ بِهِ كَمْ أَمْسِكَ لِصًّا .

بِيَدِيهِ الْمَلَطْخَتَيْنِ بِالثَّلَجِ وَالدَّمَاءِ، لَفَّ حَوْلَ جَسَدِ

الغَرَابِ وَرْقَةٌ كَتَبَ عَلَيْهَا بِيَدِ مَرْتَجِفَهِ رِسَالَةً :

-“أَنَا ... (تَلْطِيخُ دَمَاءِ دَمَاءِ دَمَاءِ)

فِي فَجَوَةٍ بَيْنِ صَدَفَيْنِ جَلَيدَيْنِ

أَحْتَاجُ لِلمساعِدةِ

لَدِي ضَلْعٌ مَكْسُورٌ

أشعر بتفتته كالزجاج المهشم داخل صدري

(دماء .. دماء)

أطرافي تحولت للون البنفسجي

سأصمد ... حتى يأتي أحدهم.. ”

ثم رفع عينيه إلى وجه الغراب مانحاً إياه نظرةً صارمةً
، كأنما يُصدر أمراً عسكرياً لجندي :

-“أيها الطائر الأسود ..

حلق بهذه الإشارة ، خذها معك ..

أنت فرصتي الوحيدة في النجا

يجب أن تعود ، لكن .. لا تُعد فارغاً”

لا تعد فارغاً ...

sheWolfVerin

الفصل الأول

قبل السقوط

-“يا أخي ، الحياة قصيرة ... عِشها كَا تُحِبُّ !”

تحدث أيمن و هو يرمي بجسده على الأريكة كمن

ربح للتو معركة ، بينما سالم وهو يقلب صفحات

كتاب يقرأه نظر لعيني أخيه ، و قال بصوت هادئ

كعادته:

-“و أنا أقول الحياة قصيرة .. فلا تفسدها على

“نفسك ”

ابتسِمْ أَيْمَنْ ابتسامة مائلة للسخرية :

-“أنت لو كان اسمك غير سالم ، لكان أولى بك أن

تُدعى الراشد الحكيم ”

لم يرد سالم ، بل اكتفى بنظرة ثابتةٍ نحو أخيه ثم

أغلق الكتاب .

-“أنا جاد يا أيمن ... منذ أسبوع و أنت تشتكي من

ضيق النفس ، و رغم ذلك .. تسهر و ترهق نفسك

و تعيش كأن لا شيء يهم ”

هـزـ أـيـنـ كـتـفـيـهـ غـيرـ مـكـتـرـثـ لـأـخـيـهـ وـقـالـ :

- لأنني إن فكرت في كل شيء ، سأتوقف عن

فعل أي شيء".

--

كان أين شاباً في منتصف العشرينات ، يمتلك

روحًا صاحبه ، قلباً لا يعرف السكون وصدرًا مهترئاً.

يحب المغامرات ، ويكره الرتابة .

إن لم يجد شيئاً يكسره .. كسر نفسه .

أما سالم فكان النقيض التام .

هادئ مُفكِّر ، يُنصلِّت أكثر مما يتكلَّم ، و عيناه

تشبهان شيخاً في جسد فتى .

--

في مساء لاحق، رن هاتف أيمن.

-“جاهز يا مجنون؟!”

صوت وائل كعادته، يصرخ في الهاتف دون مبرر

ولأن الحياة لا تحلو إلا ببعض الأصدقاء المجانين

رد أيمن معلقاً:

-“يا إلهي تلك الرحلة ستجعلنا كاللأحرار نعيش

حياتنا .. نعيش حياتنا！”

ثم ضحك ضحكة عالية وأضاف :

-“أحمد ، هاني ، سمير ، فتحي الكتبية جمیعها

ستكون هناك و هناك احتمال ضعيف بوجود

حكماء القوم (ضا حكاً بسخريه) هيثم و داود"

ابتسم أيمن و هو ينظر من الشباك فلبح جارتهم

(ريم) تمر بجانب بيتهما ، تمشي بخطى هادئه ، تحمل

أكياس الخبز

علق بصوت هامس :

-” يا ليتني أمتلك الجرأه فقط لأقول لها مرحباً ”

وَعَادُ لِلصَّوْتِ فِي الْهَاتِفِ

"جاهز.. كالمعتاد"

رد وائل معلقاً على تلك الهمسة:

"في أحلالك أحلامك يا ولد".

ضحك الجميع و كانوا لا يملكون من الحياة هما..

في اليوم التالي ، أخذ سالم أخو أيمن يتحدث مع

هيثم و داود عبر مكالمة قصيرة ، قال فيها بقلق

حقيقي :

-“انا خائف عليه .. لاأشعر بالراحة من هذه

الرحلة .

أيمن يعاني من ضيق تنفس ، و البرد هناك شديد و

أنتم تعرفون أنه لا يحتمل أبداً ، كما أني أخاف من

الانهيارات الجليدية ، أرجوكم حاولوا منعه ..

أنت من أسلم الحديث معهم البقية طائشين مثل
”أيمن“

رد هيثم :

- ”ستحصل به ونحاول إقناعه مرة أخرى أن يؤجل

الرحلة إن لم يستمع لك لا تقلق ، ربما يستمع لنا

”هذه المره“

لكن أيمن كالعادة .. لم يستمع لأحد ..

و في صباح الرحله ، خرج أيمن بوجه ضاحك ،

يحمل حريته المزعومة و صدره المُهترئ و حقيقته على

كتفه و قلبه معلق بشيء لا يعرفه .

أوقفه سالم على باب المنزل ، ناظراً إليه نظرة طويلة

و قال في صدره

{ اللّهم كا حفظت يونس عليه السلام في بطن

الحوت وحفظت يوسف عليه السلام من كيد

{ إخوته احفظ أيمن }

ثم قال بصوت متهدج:

-“كن حذراً.. أرجوك .. لأجل والديك!..

لأجل...”

باغته رد أيمن

فقال مبتسمًا وهو يُصفق على كتف أخيه :

-“اطمئن .. أنا دائمًاً أعود”

و غاب.

الفصل الثاني

بداية الطريق

امتد الطريق أمامهم كأفعى نائمه ، تحفة الأشجار من

على الجانبين ، تطارده الشمس على استحياء من بين

الغيوم المتلبدة

في سيارة دفع رباعي مليئه بالضحك و الفوضى ،

جلس أيمن متوسط أصدقاءه الخمسة الطائشين ،

بينما الموسيقى تعلو و تخفت بلا نظام .

صرخ هاني من المقعد الأمامي :

- ” ما رأيكم أن ترك الخرائط و نضيع قليلاً ؟

المغامرة لا تكون على طريق مستقيم !

فضحك فتحي بصوت عالٍ :

- ” كأنك ضائع منذ ولدت يا رجل !

اما سمير ، فكان منشغلًا بتصوير كل شئ كعادته ،

و هو يردد

- ” هذه اللحظات يجب أن تبقى .. حتى بعد موتنا ”

ساد هدوء قاتل

فتحول الجو فجأه لبروده خفيفه ونظر الجميع له حتى

السائق ، قبل أن يصرخ وائل:

-“لا تنطق كلمة موت شاب! نحس ابن النحس!”

--

جلس أحمد بجوار أيمن ، وقد لاحظ شحوباً على

وجهه فسألته:

-“كل شيء بخير؟! تبدو متعباً.”

ابتسم أيمن و هو يخفي نفسه المتقطع و نظر إلى

النافذة :

- ”ربما قليل من البرد.. لكنه لا شيء يذكر“.

ربما شعر أحمد بقليل من التردد تجاه مرض أيمن

الذي تحدث عنه أخيه

في الخلف، أرسل هيثم و داود رسالة صوتية

لأحمد ، قال فيها داود بصوتٍ منخفض:

- ”احذروا.. سالم كان قلقاً حقاً. قال إن أيمن لا

يخبركم بحاليه الصحية كامله.“.

لكن الرسالة ضاعت بين الضحك و الموسيقى و سرعة الطريق .

و سرعان ما وصلوا لموقعهم المحتوم موقع التخييم .

بعد غروب الشمس بوقت قصير

المكان كان شبه مهجور ، تحيط به تلال جليدية و أرض صخرية بيضاء كأنها خلل شارد بالثلج .

يتوسطه خيمة رئيسية كبيرة و عدد من الخيام

الصغيرة حوله

نصبوا الخيام، أشعلوا ناراً صغيره و بدأ الليل ينسدِل

بثقله

قال سمير و هو يسكب الشاي:

-“أتعلمون ؟ هذا المكان .. هادئ بشكل غريب

كأننا خارج الزمن ..”

ردّ أحمد و هو يتثاءب :

-“أو دخله تماماً..”

ضحكوا و تبادلوا النكات ، لكن عيون أيمن التي
كانت تحمل قلقاً من البرد حوله ، كانت تتحرك في
المكان و كأنها تبحث عن شيء ..
يعرف تماماً ما هو ..

ربما ملجاً صغير يبتعد عن أصدقاؤه ، مسكاً بذلك
الجهاز الصغير اللعين¹ ...

في تلك الليلة تسلل بعض التوتر إلى أنفاسه .

ربما تلك الأزمة اللعينة مرّة أخرى أو لا ..

¹ جهاز الاستنشاق الخاص بمرض الربو

استلقى داخل خيمته ، لكنه لم يغمض عينيه ،

نفسه منعه من ذلك لكنه ترّفع عن الألم ..

بل راح يستمع لصوت الريح و هي تحلك بأقمشه

الخيام

ثم .. سمع شيئاً آخر

²
نعيق ..

²- صوت الغراب

خرج من خيمته حافي القدمين ، يتحسس الأرض

كأنها قد تقوده إلى السرّ دون أن يشعر أحداً به،

ابعد ..

خطوات قليلة ، ثم أخرى ..

حتى انفصل عن الدائرة

و في لحظه لم يتوقعها ، اختفت الأرض من تحت

قدميه ..

صرخ صرخه مكتومه .. و سقط ... ظلام ..

الفصل الثالث

السقوط

اول ما شعر به أيمن .. كان البرد من حوله و فيه

برد لا يشبه البرد العادي ، بل كأن الهواء نفسه قد

تجمد و تحول إلى شفرات صغيرة تخز عظامه

برد يشعر به في شعبه الهوائية كالشفرات الحادة

لم ير شيئاً في البداية ، فقط سواد كثيف ..

كأن عينيه أغلقتا من الداخل ، بهدوء ..

بدأ الضوء يتسرّب شيئاً فشيئاً.

فتح عينيه على حافة جليدية من فوقه، أرض صلبة

من تحته ، وبرودة شديدة تتسرّب من جلد

إلى نخاعه ..

ضلّعه الأيمن ينبعض .. يؤلم .. كأن سكين يتخالله.

رفع يده بصعوبة و أنفاسه تُهتك ما بين

صدره ، فوجد ..

يده مغطاة بالدم و الطين و بعض حبات الجليد.

حاول تحريك قدمه اليمنى لكن .. لا استجابة..

أما اليسرى ، فقد ارتعشت بحركه لا إراديه ، و

كأنها تقول له: ”مازلت هنا..

تقريباً...“

لم يكن يدرى كم من الوقت مرّ عليه بتلك الحاله

دقائق ؟ ساعات؟ ربما بضع أيام

كُلماً أغلق عينيه ، شعر أن الزمن يسحبه للأُسفل ،

البرد يمنعه حتى من التفكير ، كأنه جمد عقله مع

قدمه اليُمنى .

و كلما فتح عينيه ، رأى صخوراً حامده ، جليداً

ساكناً و سقفاً ضيقاً يحجب معظم السماء

لكنه تذكر شيئاً واحداً:

-“لم أمت بعد . هناك أمل”.

أراد أن يصرخ .

ففتح فمه ، خرج منه أئينٌ خافت ، لا يسمعه إلا هو

ثم حاول الزحف، فتحرّك بضعة سنتيمترات فقط

فقط بضعة سنتيمترات .. قبل أن يرطم كتفه حافة

صخرية . كاد يصرخ لكن الألم الشديد جعله

يتنهى بألم ..

و ظل مكانه محاولاً حتى البكاء لكن كأن الهواء

يودعه مع كل زفرا . صقيق كالشفرات لا يُنقذه

أبداً.

كانت يده ترتجف من شدة البرد، أخرج هاتفه من
جيبيه محاولاً التواصل مع الآخرين.

لا تغطيه

لا شبكات

لا أحد ..

...

بدأت عيناه تدمuan .. لا من الألم بل من العجز.

ذلك المرض اللعين و ذلك الغراب .

لو لمْ أُصَابَ بِذَلِكَ الْعَيْنِ ، لَوْ لَمْ اتَّبَعْ ذَلِكَ الْغَرَابُ

الْعَيْنِ أَيْضًاً

الْوَقْتُ لَمْ يَعُدْ لَهُ مَعْنَى ، وَ النُّورُ لَمْ يَعُدْ يَكْفِي ..

لَكِنْ فِي تِلْكَ الْحَلْظَةِ سَمِعَهُ مُجَدَّدًا

نَعِيقٌ

الْغَرَابُ .

من بعيد من أعلى الفجوة يحوم بصوت كأنه دليل سخريّة! أو هكذا ظنّه أو رسالة .

رفع رأسه بصعوبة مُسْكًا بصدره و رآه.

غраб أسود يدور من فوق الفتحة كأنما يبحث عن مخرج له ، أو عن ميت جديد ..

ابتسم أيمن بسخريّه و همس لنفسه :

-“إن كنت هنا.. فلا بد أن هناك طريقةً للخروج ”

ثم أغمض عينيه ثانية

لعله أخذ لحظات للتفكير أو لحظات ليتحمل ذلك

الألم أو لحظات يتناول نفسه التائه عنه

و في مكان لا يرى كأن الوقت ينسحب ببطء يوماً

بعد يوم ..

حتى لم يبق أمامه سوى الرسالة³ ..

³ الرسالة في المقدمة

الفصل الرابع

لا تعد فارغاً

من بين الظلال الكثيفه ، خرج ضوء ضعيف يُشبه

ومضة قلب يختضر

هاتفه .. آخر ما تبقى له في هذا العالم ، كان يضئ

لحظات ثم يخفت و كأنه يتنفس بصعوبه معه

مد يده المرتجفه إليه

ضغط زر الإضاءة

ثوان قليلةٍ .. تكفي . تكفي كي يرى حقيقته

...

جسده مُغطى بالدماء و الثلج.

ضلعه الأيمن كأن شيئاً انكسر و تهشم كالزجاج

داخله

أنفاسه مقطعةً .. ألم لا يتحمل لدرجة أنه لا يستطيع

التنفس منه، و يداه ترتجفان كأنهما ستفصلان

عن جسده

أَمَا قَدْ مَا فَقِدْ تَوْقِفُ الْإِحْسَاسِ بِهِمَا مِنْ ذِيْمَن ..

رُفِعَ عَيْنِيهِ لِلأَعْلَى

الْفَجُوهُ كَانَتْ ضَيْقَهُ وَ الثَّلَجُ يَحِيطُ بِهِمَا كَأَنَّهُمَا

رَحِمٌ مُتَجْمَدٌ

وَمِنْ فَوْقِهِ ..

مِنَ الْغَرَابِ ...

نعیقه کان صارخاً صوتٍ عال خلخل شيئاً ما فی

داخله

نظر أيمن و تعلق به كأنما يرى فيه رشفه على

الحياة.

-“أسقط .. أرجوك”

صوته خرج كخمسة مرتעشه ثم تصاعد:

-“أيها الغراب .. أسقط لعنك الله”

بدأ يجمع الثلج من حوله و بدأ يستجمع قواه و يرميه

بكريات صغيرة نحو الأعلى

كل مره يُخْطئ ، كل مرّة يسقط الثلج عليه هو ..

- "يا الله.." صرخ أيمن

لكن فجأة و على بُعد خطوات فوقه رفرف الغراب

بحناحية و دار دورة دائريه ثم هبط قليلاً

تحرك أيمن بكل ما تبقى له من قوّةٍ

زحف .. سحب نفسه تجاهه كمن يطارد سراباً

مُتجاهلاً أنفاسه .. متجاهلاً ألم ضلعه .. مُتجاهلاً كل

شيء

حتى صار قريباً بما يكفي ليسط يده نحوه

لم يكن يعرف إن كان الغراب حياً أم من نسج

خياله لكنه أمسكه

بِيَدِيهِ الْمُرْتَجَفَتِينَ وَالْمُبَلَّتِينَ بِالدَّمِ شَدَّهُ وَلَفَ عَلَيْهِ

وَرْقَةٌ صَغِيرَةٌ كَانَ قَدْ احْتَفَظَ بِهَا فِي جِيبِ دَاخِلِي

مِنْ الرَّحْلَةِ مُجْرَدَ وَرْقَهُ يَضَاءُ

كَتَبَ عَلَيْهَا بِيَطْءٍ بِأَنْفَاسٍ ثَقِيلَةٍ مُتَقْطَعَةٌ:

أَنَا .. (دَمَاءُ دَمَاءُ دَمَاءُ)

فِي فُجُورٍ بَيْنَ صَدْفَيْنِ جَلِيدَيْنِ⁴

الْمَسَاعِدَةُ

ضَلَّعِي مَكْسُورٌ .. أَشَعَرَ بِتَفْتَتِهِ كَأَنَّهُ زَجاجٌ دَاخِلٌ

صَدْرِي ..

أَطْرَافِي تَحَوَّلَتْ إِلَى اللَّوْنِ الْبَنْفَسِجِي

⁴لفظ الصدف معناه الجبل ذُكر في سورة الكهف

سأصل .. حتى يأتي أحدهم

(دماء .. دماء)

لف الورقة حول جناح الغراب و عقدها بلطف ثم

قرب وجهه من وجه **الغراب**

نظر إليه نظرة غريبة ..

كأنه **أمير عسكري**

ثم أخذ نفساً عميقاً وأخرج من بين صدره صوت

مبوح لكنه حازم :

-“أيها الطائر الأسود .. حلق ، خذ تلك الإشاره

معك

أنت فرصتي الوحيدة في النجاة

يجب أن أعود .. ولا تعد فارغاً”

أطلقه

رفف الغراب و ارتفع ثم اختفى في السماء

الشاحبة كاله فابتلعته غمامه بيضاء

استلقى أيمن بعدها على ظهره عائداً إلى جموده تاركاً

جسده يلتصرق بالحليد أكثر يغرق به أكثر..

عيناه تتبعان السماء و تتبع أذنه صوت رفرفة

جناحي الغراب و صمت متعباً

محاولاً تنظيم نفسه و حاضناً ضلعاً لعل بذلك يدفئ

مكانه و كان يديه المحمدان ستفعل

ولكنه غاض بالنوم من الألم

و ..

توقف كل شيء ..

حتى الوقت ..

الفصل الخامس

يد تمتد من الضباب

كان الضوء شديداً.. أقوى من أن تراه عين اعتادت

العتمة

في الظلام الحالك الذي يحيط بأيمن، وتلك البرودة

التي تغلّف جسده بالكامل، انطلق صوت صغير

إنذار حاد عال الصوت، رافقه ضوءٌ أَيْضَ ناصع

كالشمس في ذروتها، يتجه نحوه بسرعة.

في البداية، لم يستطع أيمن، الملقي على الأرض أن

يُخرج حتى همسة، علّ من فوقه يراه و ينتشه من

ألمه...

لحاول رغم عجزه، وأخرج صوتاً خافتاً:

"هنا..."

كان الهواء من حوله يتزايد حدته مع كل ثانية،
والضوء يقترب أكثر فأكثر.

رغم ذلك، لم يشيح بنظره عن ذلك الضوء، حتى
شعر بـ تلمس جسده من الأعلى ومن داخل
الضباب الكثيف.

لم يُحرّك إصبعاً، وحدها عيناه ظلتَا تتحرّكان ببطءٍ.
وفور أن وصلت تلك الأيدي إليه، أخذ أيمن نفسها
طويلاً... وكأنها بدايات النهاية.

فذلك المحارب... ظلّ طويلاً في تلك الفجوة،

وَحْدَهُ اللَّهُ يَعْلَمُ كُمْ مِنْ الْوَقْتِ لَبَثَ فِيهَا.

فَتَحَ أَيْمَنَ عَيْنِيهِ عَلَىٰ هَالَةٍ بَيْضَاءٍ ، وَجْهٌ غَيْرُ وَاضِعٍ
يُحْدِقُ فِيهِ وَيُدْرِكُ تَرْجِفَ فَوْقَ جَبَينِهِ ..

- "إِنَّهُ يَتَنَفَّس .. لَقَدْ وَجَدَنَا حَيَاً"

لَمْ يَفْهَمْ لَكَنَّهُ شَعْرٌ بِجَسَدٍ يُحْمَلُ يُنْقَلُ .. يُنْقَذُ ..

وَخَلْفَ جَفُونَهُ تَرْدَدَ صَوْتُ دَاخِلِي:

"هَلْ هَذَا حَقِيقَى؟"

..

في المستشفى .. استعاد أيمن وعيه تدريجياً ..

؛ في غرفه واسعه جدرانها ناصعة البياض و رائحة

المُطهر تملأ المكان

كان أول وجه يراه أيمن بوضوح .. أخيه سالم

عينين دامعتان عاقد يديه يضغط عليهما بقوهٍ و

يقول:

-“أنت حي .. أيمن لقد عدت إلينا ”

ثم أضاف بإبتسامة غريبة:

-“أنا آسف .. ما كان يجب أن أدعك تذهب هذه

المرة .. أنا نفور بك ..”

أيمن حدق فيه حائراً

سالم يقول له إنه نفور؟!

أول مره يسمعها في حياته

دخل هیثم و داود یحملان باقة ورد

ضحا و احتضناه بشده و هتف داود:

-“کنا نعلم أنك أقوى من كل شيء ! حتى الجليد لم

يقدر عليك”

هیثم قال بجدیه:

-“تمينا كل يوم أنك تكون بخير .. و الغريب أننا

سمعنا صوت .. غراب .. وقت ما فُقدت بعدها بيوم

بحث عنك فوراً فريق الإنقاذ كان الغراب كان
”هو العالمة“

ابتسم أيمن لكنه بدا مُرتباً

غраб؟ فعلاً؟ سمعوه؟

هل وصلت الرسالة؟؟؟

(مُعلقاً في ذهنه ظاناً الجميع يسمعه)

مرت أيام و هو يتغافل بسرعةٍ

كل فو صاته كانت جيده على نحو غير منطقى حتى

الطيب نفسه قال ضاحكاً:

ـ“كأن جسدك قرآن يتعافى دون إذن من أحد!”

و في أحد الأيام أثناء خروجه من المستشفى رآها

..

-ريم⁵-

كانت تنتظره على الرصيف وجهها هادئ عيناها

مُشرقه و ابتسامه خفيفه على وجهها

⁵ جارة أيمن

تقدّم نحوها بخطىٍّ نجوله ثم قال:

”أنا .. كنت أود أن أقول هذا منذ زمن ..“

فأجابته فوراً:

”أنا كنت اسمعه في قلبي .. قبل أن تنطقه“

توقف الزمن

هل كان يحلم؟

ريم .. تحبه؟!..

منذ متى؟ كيف؟

لكنه لم يسأل .. فقط ترك قلبه يصدق

وفي المساء تجمع مع أصحابه

الخمسة الطائرون ”المغامرون الخمسة“

مجتمعون يضحكون يتذكرون الرحلة

قال فتحي:

-“صدقني يا أيمن .. ولا حتى في أعمق قاع من

خيالاتنا كنا سنعيش تلك المغامرة كما عشناها”

ضحك سمير و قال:

“هي لحظة واحدة فقط غيرت كل شيء”

رد هاني :

“ولكن ما ذلك التفكير و العقل عودتك مبتسماً

من الحفريه و كأن شيئاً لم يكن هل هذا طبيعي!!؟

أم أني مجنون؟ أحسدك!!”

ضحكوا جمِيعاً بما فيهم أيمن

لكنه في قراره نفسه شعر بشئ غريب

كل شئ يسير بشكل مثالي جداً

كأن العالم نفسه .. يجبره على المدوء

في تلك الليلة استلقى في سريره

كان كل شئ هادئاً جداً

لكنه شعر بونخذ في ضلوعه الأيمن ألم خفيف ..

ثم تصاعد ..

مد يده إلية فإذا به ينبض بحرارة

أغلق عينيه و سمع في داخله صوتا :

تركا و ذهب ..

الفصل السادس

تركا و ذهب

في غرفة بيضاء كبيرة، تملأها الأجهزة الطبية التي
تنظر إلى أيمن وكأنها تحدّق فيه، كان المشهد أقرب
إلى كابوس يقظ.

ومن خلف تلك الأجهزة ، يمتد حائط يخلله نافذة
زجاجية كبيرة ، يقف خلفها سالم - شقيقه -
وداود بجانبه، بينما يقف أمامهم كلّ من هاني،
سمير، وائل، وأحمد.

ورغم أن سالم كان ينهر الآخرين محاولاً ضبط
الموقف، إلا أن الابتسامة لم تفارق وجوههم.

حاول أيمن أن يرفع يده، لكن ألمًا حادًّا في صدره
منعه.

أراد أن يصرخ من شدّته، لكن صوته لم يخرج.
ثم سمع همسات خافتةً خلف الباب...

..

- "أخبروني... من كان معه حينها؟"

في نفس اللحظة، التفت سالم نحو أيمن المستيقظ،

فاندفع إلى داخل الغرفة كمن ربح للتو جائزة

الى انصياب.

اقرب منه بحماسة أراد أن يحتضنه، لكن الأجهزة

كانت تغطّي جسده بالكامل، فقال:

-أخيراً فتحت عينيك! والله لو أتيت بكل وكلاء

العالم لتخرج من البيت، لن أوفق!

دخل وائل، كعادته، مازحاً وهو يعلق:

-الناجي العظيم! أعجبتك مرقة الغراب؟!

دخل خلفه هاني، وكره في ذراعه قائلاً بجدية:

"اصمت."

لكن وائل لم يتراجع، وأعاد بسخرية:

-"اكتفيتُ بالمرقة... ألم أنك أخذتَ الأرجل في

"طريقك؟"

نظر جميع من في الغرفة إلى وائل نظرة مقاتلين على

وشك الانقضاض، وتراجع بخوف وقال:

- "حسناً، حسناً.. سأصمت، لكن أردت فقط

الاحتفاظ بالريش!"

دفعه أحمد وداود خارج الغرفة.

مررت ساعات بعد حديث سالم وغاض أيمن في

نوم عميق ولكن الزمن بدا كما لو كان جامداً..

ثقيلاً..

في المستشفى كان الليل صامتاً إلا من صوت

الأجهزة المعاونة من حول أيمن

فتح عينيه على ضوء خافت في سقف الغرفه ، شعر

بوخر في ضلعة الأيمن و كان شيئاً يغوص فيه ببطء

و كان شيئاً لم يكن ..

نظر لسالم الذي شعر بألمه ولكن أيمن لم يطلب

الطيب بل طلب أصدقائه

تردد سالم ثم خرج لدعوتهم

بعد دقائق دخل سالم الغرفه و معه أربعة منهم:

هاني ، سمير ، أحمد ، وائل .

كلهم يضحكون، يحملون أثياباً بها عصائر و بعض

المدايا الرخيصة

كأنهم في زيارة عاديه لا تحمل وراءها شيئاً.

قال وائل بصوت مازح:

"الناجي العظيم! ماذا تريده!"

رد أيمن :- "فليُخبرني أحدهم ماذا حدث ؟! لا

اتذكر سوى لقطات طفيفة! الضوء والثلج الكثيف

من حولي! ألم في صدرني لا يُحتمل!! و الغراب!

هل رأيتم الغُرَاب أَيْضًا؟" موجهاً نظره لهم و

عينيه تحمل نظرة من يحتاج للتشبت بقشه"

رد هيثم :

- "ذهبنا لخيمه الرئيسيه بحث عنك بعدهما اعتقادنا

تواجدك هُنَاك، لكن لم نجدى؛ مرسومين ولم نجد

شيئاً يدلنا على مكانك فعدنا"

علق وائل ساخراً:

- "أفسدت علينا كُل شيء" ولكنه قوبلاً بوكزه من

أحمد

- "هل رأيتم الغُراب والرسالة" علق أيمن

- لا يجب أن نتحدث عن الغُر.."

كاد وائل أن يُكمل الجملة ولكن شده أحمد و

خرج سوياً من الغرفة

عدّل أيمن عن جلسته مُتمسكاً بضلعه، مُصوبًا نظره

في وجوههم، وجهاً وجهاً عليه يجد الإجابة في

عيون أحد هم..

لكنه شعر أن هناك ما يُخفي..

بداخل تلك الغرفه

- " ماذا عنك يا سمير سجلت الرحلة كُلها ولم أمح

أي شيء بها !! كما أنكم عُدتم قبل و ليس بعدي !؟"

تحدث أيمن

- "أيمن لو مررت بما مررنا به لفعلت المِثل" رد سمير

- " فعلت المِثل !!؟ على الأقل زيف بحثكم عنِي !"

تحدث أيمن و شاح بنظره بعيداً، مُسْكاً بصدره

الذي يؤلمه ..

ووضع رأسه على الوساده من خلفه

تحول حينها الحوار من أيمن لسالم الذي بدأ بنهر
الجميع بما فيهم هيثم و داود

دار حوارٌ متواتر بين أيمن وسمير، الذي قال بنبرة

حازمة :

-"انطلق إلى الخيمة الرئيسية، ولم يعد بعدها ..

"أسألكم."

وأشار برأسه إلى بقية الأصدقاء الذين أوماوا
بتأكيد صامت.

وجأة، انقض سالم عليهم كسيل العِرَم^٦، والغضب
يتطاير من عينيه:

- "لينطق أحدكم الآن... ماذا حدث؟"

ثم وجه نظراته النارية نحو داود وهيثم:

- "استأمنتكم عليه... فماذا فعلتم؟ عاد لي ميتا!"

^٦ سيل جارف شديد يمحى ما يقابلها تم ذكر اللفظ في سورة سبا (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العِرَم)

ساد الصمت، خنق الجميع...

إلا هيئم، الذي أدار وجهه نحو أيمن، وقال بنبرة

مثقلة باللوم مُعيداً إياها:

هيئم (هادئاً لكنه قاطع):

"لو كنت مكاننا، يا أيمن، لفعلت مثلنا."

ثم أمسك ببقية الشباب، وسحبهم إلى الخارج.

خرجوا جمِيعاً من الغرفة، وتجاوزوا النافذة الزجاجية بهدوء ثقيل.

ظل سالم يحدق في الباب لحظات، ثم التفت إلى

أيمن، الذي كان يعدل من جلسته متائماً، قابضاً

على صدره.

اقرب منه سالم، وقال بمرارة:

- أأعجبك تهورك الآن؟ أأعجبتك تلك الصحبة؟

ألم تكن هذه الصحبة التي فضلتها علىّ؟

ها قد تركوك... تركوك لموت، وغادروا."

لم يحتمل أيمن ثقل المشهد، ولا الألم الطاغي في

صدره ، تراكم كل شيء ولم يكن قوياً حينها

كفايه ...

فانفجر صارخاً:

" سالم النجدة! النجدة!"

تحول وجه سالم الهاريع إلى الخارج للجنون جاعله

يصرخ مستنجدًا بالأطباء.

دخل فريق طبي بسرعة، التفوا حول أيمن، وبدأوا

بفحص نبضه، وموضع الجرح، ومؤشراته الحيوية.

أعطوه جرعات من المضادات الحيوية، ومسكّات،

ومنوماً قويًا...

حتى هدأ جسده، وغاص مرة أخرى في سباتٍ

عميق.

...

لا أحد يعلمكم من الوقت من.

وبعد فترة من الزمن، استفاق أيمن ...

أعاد في ذهنه كل الرحله و ما حدث بها، منذ

بداية الطريق ..

إن كان سمير سجل كل الرحله بهاتفه لم لم يظهر

الغраб حينها كان مُزعجاً لنا !!

وهاني الذي أكَد على دخول الجميع الخيمه كيف

يؤكِد خروجي منها!؟

وإن كنت غبت عنهم لم عادوا بعد بدء الرحلة

بيومين !؟ وكانت الرحلة خمسة أيام!؟

و لم يقولون بأنهم لا يجب ألا يتحدثوا عن الغُراب؟!

الفصل السابع

الزائر في الليل

في تلك الليلة لم يستطع أيمن النوم .

كلما أغمض عينيه ، رأى تلك الفجوة .. السكون

.. البرد .. الرسالة .. و الغراب .

تحرك في سريره ببطء

وأخذ نفساً عميقاً و نظر للسقف معلقاً عينيه فيه ،

محاولاً استيعاب ما يحدث

الأصوات من الخارج

لكن كل شيء بدا بعيداً .. غير حقيقي

..

جاءه صوت خفيف قريب من النافذة

التفت برأسه

كان هناك الغراب . يقف على حافة الشباك

هادئ ساكن ، يرمي بنظرة حادة كأنما يعرفه

و يعرف قصته ..

لم يكن من نوع الغربان العادية ..

كان جسده أكبر قليلاً ، و ريشه يلمع بلون أسود

قاتم رمادي غريب

و في مخالبه .. شئ صغير ، يشبه الورقة تتمايل بفعل

الريح

جلس أيمن معدلاً عن جلسته في سريره محدقاً في

الغраб عاجزاً عن الحركة

ظل الغراب يحدق فيه هو الآخر دون أن يصدر

صوتاً من أيهم ..

ثم رفرف بجناحيه مرّة واحدة ، و اختفي في الليل .

توجه أيمن للنافذة ، مُتجاهلاً سقوط الأجهزه من

وراءه و الدوار الذي كاد يُطيحه أرضاً

نظر من النافذه يميناً و يساراً ..

لكنه لم ير شيئاً

السوداد كاحل

لكن على حافة الزجاج ، كان هناك أثر صغير

نقطة سوداء كأنها دم جاف ..

أو حبر..

همس لنفسه :

"هل .. زارني حقاً؟ أم أني .. !!؟."

عاد لسريره وهو يُتّم في نفسه عما يحدث وإن كان

الغраб موجود أم لا؟ وإن كان موجود؟

لم يرفضون الحديث عنه؟

حتى أنه شك للحظة أنه لربما لم يستيقظ بعد من
غيبوبته ! فلم تكن المرة الأولى!!..

الفصل الثامن

خروج بلا أبواب

مررت ستة وتسعون ساعة⁷ على أيمن، وكان وقت
معادرة المستشفى قد حان.

جمع ما تبقى له من ملابس، الأدوية التي أوصى
بها الأطباء، وتلك الورقة التي تركها الغراب على
النافذة.

⁷ثمانية أيام

كان متماسكًا قدر الإمكان، رغم ذلك الشيء
الخفى الذى مازال يثقل كتفيه.

تحرّك مع سالم بصمتٍ كاد يبتلع الشارع.

قطع سالم السكون وهو يقول، بنبرة جمعت بين
العتاب والقلق:

— "أتظنّ أن تلك الحادثة غيرتك يا أيمن؟ أرجو
فقط أن تكون قد تعلّمت ألا تُلقي بنفسك إلى
التهلكة مرة أخرى. تعرف قصدي."

وأشار بيده إلى صدره، إلى الجرح الذي لم يكن

ظاهراً على الجسد، بقدر ما كان محفوراً في الروح.

لم يرد أيمن سوى بجملة مقتضبة، قالها وهو يزير

كلمات أخيه عن كتفيه كأنها عباء:

— "دعنا نعود للمنزل... أحتاج للراحة."

وما وصلا إلى العمارة، حتى فتح أحد الأبواب

الجانبية، وظهرت فتاة.

بشرتها قحية، وجنتها نجولتان تميلان إلى البرتقالي

الخفيف، حافية إلا من خفٌ أحمر، وشعرها الزيتوني

مسنودٌ على عصا يابانية صغيرة تعلوها وردة بيضاء

تخللها أوراق صفراء باهتة.

في عينيها السوداويين لمعانٌ ناعم، يُشبه انعكاسك

على سطح ماء في ليلة صافية.

قالت بصوتٍ هادئٍ:

— "حمدًا لله على سلامتك يا أيمن... الجميع كان

يتحدث عما واجهتموه مؤخرًا. سَلِّمت عزيمتك."

تدخل سالم، وقد لمّزته الكلمة الأخيرة فرد ببرة

ضيقّة:

— "بالتأكيد، وكان سيكون أسلم لو ظل في

المنزل... ولم يتحرّك من جواري."

لكن أيمن قاطعه بهدوء أثقل من الغضب:

— "أرجوك... دعنا لا نعيد الحديث عما حدث.

لنعد للمنزل."

نظرت ريم إلى أيمن ثم قالت باستحياء:

— "هل بإمكانني المرور ليلاً للاطمئنان عليك؟ إن

لم يمانع سالم، طبعاً."

رمقها سالم بنظرة شك، ثم قال بحدة مضمرة:

— "وهل سيأتي أهلك أيضاً؟"

أجابته ريم بسرعة:

— "بالطبع."

عندما سحب أيمن ذراع أخيه، وقد شعر بعدم

ارتياحه المتزايد، واتجها إلى شقتهم.

دخل سالم أولاً، ونظر إلى أيمن قائلاً بنبرة تجمع بين

الترحيب والتساؤل:

– "أهلاً بعودتك."

لكن أيمن مرّ من جواره دون توقف، وقال

بصوت خافت:

– "أحتاج فقط للنوم... لا أقدر على الحديث

حالياً، أرجوك."

قالها لأنه شعر أن سالم يريد أن يتحدث عن موقفه

مع ريم، وربما يفتح باباً لا يرغب أيمن أن يفتح...

ليس الآن.

دخل أيمن غرفته، وألقى بجسده وروحه المرهقة

دفعةً واحدة على السرير.

لم يرد سوى شيءٍ واحد: أن يتوقف عقله عن

التفكير، ولو للحظات... أن يحظى بشيءٍ من الهدوء

الذي ظل يحلم به طويلاً.

تأمل الغرفة بصمتٍ مكسور، وعيناه تحرّكَان ببطءٍ

حتى استقرتا على الطاولة المقابلة لسريره.

كان هناك... جهاز الاستنشاق.

الجهاز نفسه الذي كان يحمله أثناء الرحلة.

نهض بثاقل واقترب، ليجد أسفله بعض ورقات

بيضاء، فارغة تماماً.

لم يفكّر طويلاً.

كل ما دار في رأسه كان شيء واحد: "الأزمة
اللعينة".

هي السبب في كل شيء... من البداية وحتى الآن.

أمسك بالجهاز بيده اليمنى... حدق فيه لحظة، ثم

دفعه بعنف نحو الحائط.

تحطم الجهاز، وتبعثر كل ما كان بداخله.

وانفجر أيمن بعدها في بكاءٍ مرسيرٍ...

صرخ مُعلناً انهزامه وبكى ك طفل ضائع لا يعرف
أين يذهب، ولا من يكون.

فُتح الباب فجأة، ودخل سالم بسرعة.

لم يتكلّم، لم يندهش، فقط... احتضنه.

أمسك به كما تمسك الأم طفلها في لحظة انهيار.

وهوى كلّاهما إلى الأرض، على ركبتيهما، بينما

ظلّ أين يصرخ وي بكى، بصوتٍ لا يصدر من

حلق... بل من قلبٍ مكسورٍ.

كُلما أراد لكم صدره ، منعه أخيه

لم يُحاول سالم تهدئته، بل تركه يخرج كل ما
بداخله.

راقب دموعه، وصحته المؤلم، وكسرة الجهاز الذي

طالما خشي أن يستغني عنه.

مررت ساعة... حتى بدأ أنين أيمن يهدأ.

وسالم لا يزال قابضاً عليه كأنه يخشى أن ينكسر

مرة أخرى.

وما إن شعر به يهداً تماماً، حتى أفلت ذراعيه

بلطف، وتحدث بصوٍتٍ أشبه بما يقوله الأب لابنه:

— "يا أيمن... لا يضر أبداً أن نخرج ما بداخلنا.

حتى ونحن رجال."

— "تعلم؟ حين كنت في مثل عمرك، لم أكن

حكيماً كما تظن.

الجيران اعتادوا سماع صراغ والدتنا يومياً بسببي...

لكن... حدث شيء، غيرني تماماً."

رفع أيمن عينيه، والدموع لا تزال تلمع على وجنتيه:

— "ماذا حدث؟"

ابتسم سالم، وتابع:

— "جئت أنت..!"

— "يومها شعرت للمرة الأولى أنني لست وحدي،

وأن هناك من سيقلدني ذات يوم..."

فشعرت أن عليّ أن أكون قدوة...

أن ألتزم، وأفكّر قبلك."

— "تغيرت... لكنني غفلت عن مساراتٍ أخرى

كتبها الله لنا. مسارات لا بد أن نمر بها، حتى وإن

آمننا.

وحين رأيتكم تسلك طريقاً مظلماً، لم أُرد السيطرة

عليك...

بل حاوطتك... خوفاً، لا فرضاً."

نظر إليه أيمان، وقد تبدلت نظرته من الانكسار إلى

الفرح، من الحزن إلى الامتنان.

وفي تلك اللحظة، أقسم في داخله أن يتغير، لا كما
يرى نفسه... بل كايراه سالم.

قطع تلك اللحظة صوت جرس الباب

كان الطارق هذه المرة... ريم ووالديها.

استقبلهم سالم بابتسامةٍ هادئة، ودعوهم إلى غرفة
الضيوف حيث اجتمع الجميع.

في تلك اللحظة، كان أيمن لا يزال في غرفته، يغسل وجهه من إنهاك الساعات الماضية.

دخل عليه سالم، بصوته المعتم الذي يجمع بين الحكمة والحب:

- "ألا تري أن تتحقق حلمك؟"

نظر إليه أيمن بدهشة:

- "حلمي؟ أي حلم؟"

ابتسم سالم وقال:

- "ريم... ألم تكن تريدها دومًا؟ ماذا عن أن تكون

زوجتك؟"

تحمّدت نظرة أيمن، ثم التفت إليه وقد ظهرت على

وجهه نظرة ماكرة خبيثة وقال:

- "أليس من الأولى أن يتزوج الأخ الأكبر أولًا؟"

ضحك سالم ووكلَّ كتف أخيه الأيمن بقوَّةٍ خفيفة،

فتظاهر أيمن بالألم، وارتفع صوت ضحكتهما معاً

لأول مرَّةٍ منذ وقتٍ طويـلـ.

ثم خرجا سوياً، يسيران بخطواتٍ ثابتة...

وفي هدوءٍ يشبه احترام المشاعر، أعلنـا عن رغبتهـما

في الارتباط الرسمي بين ريم وأيمـنـ.

وبين طرفة عين ولحظة قلب،

تحول الجو في البيت من آنين وألم وبكاء

إِلَى فَرَحٍ نَاعِمٍ هادئٍ ..

كَأَنَّ الضُّوءَ بَدَأَ يَتَسَلَّلُ أَخِيرًا مِنْ بَابٍ كَانَ مَغْلُقًا

مِنْذُ زَمِنٍ ..

بَابٌ ... خَرَجَتْ مِنْهُ الرِّيحُ، وَلَمْ تَعْدُ ..

الفصل التاسع

قبل أن ينتهي... كان قد بدأ

مع اقتراب موعد زفاف أيمن من ريم، بدا وكأن

شيئاً ناقصاً لا يكتمل إلا بقاء "المغامرون الخمسة"

مرة أخرى.

رغم مرور وقت طويل على آخر لقاء جمعهم،

ورغم غيابهم الغريب عن زيارته في المستشفى، لم

ي肯 أيمن يحمل ضغينة... لكن هناك شيء ما

داخله لم يطمئن.

كان أول من فَكَر في التواصل معه هو "فتحي" ...

الفتى الذي اختفى بفأة يوم الحادثة، ولم يُرَّ بعدها

في المستشفى ، ولا حتى على مقاعد الأصدقاء.

ولأن ..

"خاف من عدوك مرّة، ومن صديقك ألف مرّة."

تلك الجملة لم تفارقـه ، ولهـذا بدأ بفتحـي أولاً.

كان يشعر بشيءٍ خفي نحوه... شيءٌ لم يعد يتذكّره

بوضوح ، لكنـه لم ينس شعورـه به.

تواصل أيمن معهم واحداً تلو الآخر، حتى وصل إلى "وائل"،

الذي كان قد شق طريقه مؤخراً إلى منصب

حساس في الدولة.

ولأول مرة، ردّ وائل على الاتصال بجديه .

"ـ ماذا تريد يا أيمن؟"

رد أيمن ممازحاً هذه المرة، محاولاً كسر الرسمية:

"ـ هل تُحاط بالعصافير في مكتبك الجديد؟"

لكن وائل لم يضحك، بل قال بهدوء بارد:

- "لا تهزا، أيمن... الغربان تخلق من حولي."

توقف أيمن للحظة، ثم قال بهدوء:

- "زفافي على ريم... الجمعة القادمة. ستأتي... وهذا أمر."

ردّ وائل بكلمة غريبة:

- "في الغابة... إن غابت النسور، حضرت الغربان
... لا تقلق."

ضحك أيمن ضحكة متواترة، ثم قال:

- "اعثر على وائل القديم... واهده إلى، واجلب
الباقين."

في غرفته، بينما كان أيمن يُهْبِي نفسه للقاء
الأصدقاء، لمح ورقة بيضاء موضوعة على حافة
المكتب.

لم تكن موجودة صباحاً...

اقرب منها وقرأ ما كتب بخط غريب:

"يلتق نوديري"

....

قرأها مراراً... ولم يفهم شيئاً.

حاول أن يعيد ترتيب الحروف، أن يستنتج أي معنى... لكن دون جدوى.

تنفس بعمق وتجاهل الأمر، ظناً أنه محض سهو أو

نكتة من سالم.

وفي طريقة للخروج، قابل سالم في الردهة.

رمقه الأخير بنظرة عابرة وقال بهدوء:

— "عندما تعود سالماً... أخبرني فقط: لماذا كانوا

يلتق نوديري؟"

تحمد أيمن في مكانه.

نظر إلى أخيه بتعجب، لكنه لم يقل شيئاً.

ضحك، على سبيل المزاح، وهز رأسه ظناً أن سالم

يمازحه، ثم خرج.

في السيارة، وبينما كانت الإشارة حمراء، نظر أيمن
إلى المرأة الجانبيّة.

ثم لمح سيارة إلى جواره، فألقى نظرة عفوّية على
مرآتها...

لكنه لم يجد نفسه فيها.

تجدد قلبه.

فتح عينيه وأغلقهما عدة مرات.

عاود النظر إلى المرأة الخاصة به، ووجد صورته قد

عادت، لكن قلبه بقي معلقاً هناك... في تلك

النرة الأولى التي لم يظهر فيها.

وحين وصل إلى لقاء الأصدقاء، كانت الليلة قد

بدأت تميل نحو الدفء.

ضحكوا كثيراً.

هناه سُبُّ الجميع.

تحدّثوا عن كل شيء... بلا شيء.

وفي ختام اللقاء، وهم على وشك المغادرة، قال

وائل فجأة:

- "لا تتأخر كثيراً... سنتظرك."

ابتسم أيمن، ورد عليه ممازحاً:

- "لا تتأخر أنت... إنه مكانى."

كان كل شيء مثالياً على نحو يثير الريبة.

أيمن، الذي قضى عمره يركض خلف أمنياته، وجد

نفسه أخيراً محاطاً بكل ما تمنى.

ريم، الحلم القديم، تقف إلى جواره.

سالم أخوه يسانده للمرة الأولى، بوجه لا يحمل سوى

الفرح.

أصدقاؤه، يحيطون به بضحكات صافية ونظارات

اعتذار...

وكان الجميع اتفق فجأة على أن يكونوا له.

لبرهة، تساءل:

"أي ذنب اقترفته لأشكأ بكل هذا الكمال؟"

لكنه لم يُمْهِل تفكيره طويلاً، إذ قاطعته ريم، بنبرة

هادئة:

- "متى ستعود يا أيمن؟"

نظر إليها بدهشة، وحاجبه يرتفع باستغراب.

- "أعود؟ لأي شيء؟"

أنا... لن أرحل حتى أعود. أنا هنا... وسابقني هنا.

وأخذ تنحية ثقيلة

ربما... فقدت نشوة التهور إلى الأبد.

لم ترد. فقط رمقته بنظرة طويلة، بينما اقترب منه

سالم، وهمس له:

- "لا تتأخر هذه المرة... متى ستعود؟"

- "من أين أعود يا سالم؟" رد أيمن

- "لا... لأنّه." قالها سالم و ابتعد

رمض أيمن بعينيه مرتين و كانت هادئتين .

بدأ يشعر أن الكلمات لم تعد تحمل معناها.

التفت حوله، فوجد أصدقاءه يكررون السؤال

ذاته... بنفس نبرة الصوت:

- "متى ستعود يا أيمن؟"

- "متى ستعود؟"

- "متى؟"

- "متى؟ أيمن"

- "متى ستعود؟"

الضوضاء تكثّفت، وكأنها تنہش عقله،
والهواء من حوله صار أكثر برودة، يدور حوله

بحجنون،

حتى شعر بأن أضلاعه توشك أن تخطم من شدة
الريح و الضغط.

ثم...

جاء الصوت.

"نعم.."

كأن أحدا مرق ستار الضوضاء، وأسكت
الأصوات دفعة واحدة.

أيمن همس لنفسه وهو يلتفت:

"أنا... أعرف هذا الصوت".

زاد النعيق حدة، حتى لمح الغراب، يطوف فوقهم
في دوائر...

دائته تتقلص شيئاً فشيئاً، كما لو كان يحدق فيه
وحده.

اقرب سالم منه فجأة، بعينين غريبتين، وصوت

أعلى:

- "متى ستعود يا أيمن؟!"

ثم دفعه بكلتا يديه في صدره.

فسقط أيمن إلى الخلف.

السقطة لم تكن مؤلمة بقدر ما كانت صادمة، لأن

شيئاً ما اقتلع منه أنساء السقوط.

أغمض عينيه لثوانٍ.

وحين فتحها...

لم يعد في نفس المكان.

كان في فجوة يضاء محاطة بالجليد،

وفوقه طبقتا الصدف تنغلقان عليه كغطاء نعش

من الثلج.

كل شيء حوله ناصع، بارد...

ويده الممدودة تمسك بورقة حوافارها كالحجر،

يده نفسها تحولت إلى ما يشبه الحجر.

رفع عينيه للأعلى،

فرأى الغراب يحوم بهدوء، كأنه يتأمل المشهد...

هل من بالأسفل ميت؟ أم ينتظر الموت؟

ابتسِمْ أيمِنْ...

ابتسامة خافتة، لا يدري لماذا خرجت لكنها
خرجت.

- "هنيئاً لك، أيها الغراب اللعين".

ثم أطلق زفته الأخيرة.

وسكن.

ذابت روحه في الثلج...

تحول إلى جثة بيضاء لا حول لها ولا قوة،

كان الأرض احتوته بشغف وطمأنينة.

ووجد المهدوء الذي كان يطمع فيه..

وفي مكان ليس بعيد..

كان أصدقاؤه لا يزالون يضحكون، يغنوون،
يتازحون،

غافلين أو هكذا كان ، عن غياب أيمن ، وكأن شيئاً
لم يتغير.

وفوق الجليد،

كان سالم يركض من مكان لآخر، يسأل عن أخيه:

- هل رأيتم أيمن؟

- أين ذهب؟

- أهو في الخيمة؟

- ألم يكن هنا منذ لحظات؟

وفي كل مرة،

كان الرد ذاته يتكرر،

بلا إدراك، بلا اهتمام:

- أيمان؟!

إنه في الخيمة الرئيسية...

الفصل العاشر

معرفة بلا فهم... وعلم بلا يقين

كان الوقت قد تأخر...

لكن الموت جاء مبكراً.

بين جبلين، في صمت لا يعرف الرحمة،

تمددت جثة أيمان،

باردة، هامدة، وغريبة كأنها لا تنتمي لهذا المكان

ولا لهذا الزمن.

لم يكن أحد يعلم.

لم يعرف أحد حتى أنه خرج من الخيمة.

ولم ينتبه أحد أنه كان يسعى لجهاز الاستنشاق

الذي اختفى...

لأن من كانوا حوله، من يفترض أنهم أصدقاؤه،

كانوا يلعبون به.

ضحكوا، وأخفوه...

ظنناً منهم أن أيمن سيغضب، ويبحث عنه...

لأنهم لم يعلموا أنه خرج وحده، بحثاً عن نفسٍ

أَخِير... ولم يعْد.

وفي الخيمة الرئيسية، بينما سالم يفتش وسط أوراق

مبعثرة ودفتر صغير،

كانت هناك ورقة مكتوب عليها بخطٍ مضطرب:

....

"يريدون قتلي"

....

نفس الجملة التي كانت تطارد أيمن في الحلم...

لكنها الآن، مكتوبة بيده، وبالحبر الحقيقي، على

ورقةٍ مرتجلة.

كان يستجد لا بصوت، بل بالكلمات.

يرسم رعبه على الورق، لعل أحداً يقرأ ما فاته أن

يقوله.

كان سالم هو الوحيد الذي شرك.

الرسائل غير المفهومة.

الغرابة في حديث أيمن.

نظرة عينيه وهو يضحك ولا يضحك.

ذهب سالم إلى الخيمة الرئيسية بعد إدعاء فشل

الجميع في الوصول إلى أخيه.

دخلها بخطوات متعددة، وأخذ يفتتش في كل

شيء.

وَجَدَ الْجَهازَ مَكْسُورًا خَلْفَ أَحَدِ الصَّنَادِيقِ.

وَجَدَ الْوَرْقَةَ،

ثُمَّ وَجَدَ دَقْتَرًا آخَرَ...

وَفِي آخَرِ صَفَحَاتِهِ، مَكْتُوبٌ بِخَطٍّ ضَعِيفٍ يِكَادُ لَا

يُقْرَأُ:

- "فَتْحِي لَا يَضْحَكُ معيَ. فَتْحِي يَنْظُرُ لِي كَائِنِي

أَعِيشُ مَا كَانَ يَتَناهُ.

فَتْحِي لَا يَطْمَئِنُ لِيَ.

فتحي... يريد قتلي."

سقطت الورقة من يد سالم.

وجلس على الأرض كأن العالم كله انهار على

رأسه...

فتحي..

الذي انسحب من المستشفى بلا وداع.

الذي كان صامتاً يوم الحادثة، بينما الكل يضحك.

الذي دبر للأمر كله

لم يعرف أحد ما حدث بعد ذلك...

لكن الحقيقة خرجت من الخيمة، ولم تخرج من الجبل.

في الأعلى، كان الغراب يحلق من جديد...

حول جسده لم يدفن، وحول سريره كتب على الورق،

وظل معلقاً بين قمتين.

لا أحد يعلم...

لكن سالم، وحده بدأ يرى...

أنه ما بين الورقة والحلم...

كان أيمن يصرخ منذ زمن.

حين كان الغراب يعرف الحقيقة

بین جبلین، تمدد جسد فُقد اسمه...

لم يكن أحد يناديه "أيمن" بعد الآن،

كان مجرد صمت بارد على هيئة إنسان.

لم يكن هناك أحد...

إلا الغراب.

ذلك الطائر الذي حاول كثيراً أن يوقظهم،

طرق الزجاج، نادى، حلق،

وصرخ في الحلم بجملة مشوهة:

"يلتق نوديري".

لكن لم يفهمه أحد.

أيمن لم يمت حين سقط بين الجبلين...

مات يوم تجاهل الجميع خوفه،

مات يوم ضحكوا وهو يختنق،

مات حين لم يأخذ أحدٌ من أصدقائه صوته على
محمـل الجـد.

هو الذي كان يكتب... لا يتكلـم.
يـصـرـخـ بالـحـبـرـ... لاـ بالـحـلـقـ.

كتـبـ:

"يريدون قتلي."

كتـبـهاـ وـهـوـ لـاـ يـعـلـمـ إـنـ الـورـقـةـ سـتـعـيـشـ أـكـثـرـ مـنـهـ.

سالم جاء متأخراً، كعادة "الذين يحبون بصدق".

ووجد الورقة، والجهاز، ورائحة أخيه القديمة.

ووجد جملة لم يفهمها وقت الحلم، لكنها الآن تسُكُن

صدره كطعنة:

"يريدون قتلي".

ولم يكن فتحي بعيداً...

ذلك الذي لم يكره أيمن لشخصه،

بل لما لديه:

أخ.

ابتسمة.

حياة يشعر بها ولا يقدرها.

فتحي لم يطعن أيمن بسكين،

لكنه نزع عنه هواء٥،

ودفعه للجبل،

وتركه يبحث عن نفسٍ لا يجيء٦.

في النهاية،

لم يكن الغراب طائر شؤم في هذه القصة.

بل كان الوحيد الذي حضر الجنازة.

وقف فوق الجبل،

رمق الورقة الأخيرة،

ثم طار.

كان يقول:

- "أنا وحدي... سمعت صوته."